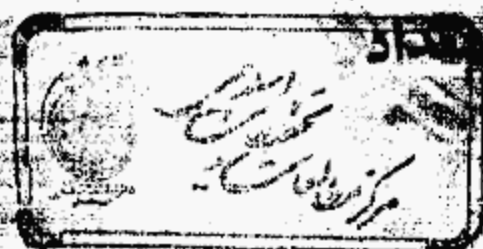


مجلة كتاب الآداب

تصدرها كلية الآداب في جامعة بغداد



مركز بحوث الآداب

العدد الرابع عشر

المجلد الاول

١٩٧٠ - ١٩٧١

مطبعة المعارف - بغداد

نقد النحْو في كتب فقه اللغة

حسام سعيد النعيمي
قسم اللغة العربية

تعرض النحو العربي منذ وقت ليس بالقصير الى النقد والتجريح ،
وقد ضاق قوم به ذرعاً وهو يخطو خطواته الاولى كالذي يروى عن
الفرزدق وغيره من الشعراء (١) ، ولست هنا بصدد تقويم النحو العربي أو
الدفاع عنه ، انما اريد أن أقف وقفة قصيرة عند نتاج عدد من العلماء
المحدثين الذين وجدتهم يتحاملون على النحو والنحويين لتتين أعن بصيرة
كان تجريحهم وانتقادهم أم عن سرعة خالية من الروية التي يستدعيها
التعرض لأي موضوع علمي ، وسأكتفي بإيراد عدد من المسائل تاركاً
للقارئ فرصة الحكم على طبيعة الاسلوب الذي اختاره هؤلاء الافاضل
لنقد النحو وبخاصة اولئك الذين تصدوا للكتابة في (فقه اللغة) ذلك العلم
الذي نحسب أن عدداً من أهله لا يستسيغون الكتابة فيه دون هجوم على
النحو والنحاة ، وسيرى القارئ انه ليس لهذا الهجوم غير تفسير واحد
هو قلة البضاعة في هذا العلم مما يقدر في تمام الآلة التي تمكن صاحبها
من التعرض لفقه اللغة ، فنحن نعتقد ان فقه اللغة لا ينبغي أن يخوض فيه
الا من استجمع آله ، وأبرز مقومات هذه الآلة نحو هذه اللغة وصرفها .

١ - تمييزكم الخبرية

(١) انظر مثلاً نزهة الالباء لابن الانباري ص ١٢ تحقيق الدكتور
ابراهيم السامرائي .

قال الدكتور ابراهيم أنيس^(٢) : (روى النحاة في المطولات من كتبهم عدة مسائل اختلف فيها الرأي بينهم وقد نسبوا هذا الخلاف الاعرابي الى قبائل معينة على أنها لهجاتهم وما تستطيعه الستهم) ثم قال : (والحق ان هذا النوع من الاختلاف الاعرابي لا يمت لللهجات العربية بصلة وانما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم وحاول كل فريق أن يأتي بجديد في تلك القواعد الاعرابية التي ملكت عليهم مشاعرهم) وقد ذكر أمثلة لما صنعه النحاة واختلفوا فيه نذكر منها تمييز كم الخبرية حيث قال : (لهجة تميم تنصب تميم كم الخبرية مفرداً ولهجة غيرهم توجب جره وتجزئ جمعه وافراده ، فبنو تميم يقولون كم درهماً أنفقت ! وغيرهم يقولون كم درهم أنفقت ! وكم عبيد ملكت ! ولهذا كان قول الفرزدق [كم عمة لك يا جرير وخالة *] موضع نقاش وجدل بين النحاة يمكن الرجوع اليه في المطولات من كتبهم *) ولا اريد هنا أن أعرض لمناقشة (قصة الاعراب)^(٣) التي يدعيها الدكتور أنيس فقد كفانا عدد من الاساتذة الافاضل مؤونة ذلك^(٤) ، وانما الذي يعني ان اتجول مع القارىء في عدد من مطولات النحاة لنرى نقاشهم وجدلهم في بيت الفرزدق وفي تمييز كم الخبرية كيف يكون كما طلب الدكتور أنيس .

قال سيوييه امام النحاة : (واعلم ان ناساً من العرب يعملونها فيما بعدها في الخبر كما يعملونها في الاستفهام فينصبون بها ... وبعض العرب ينشد قول الفرزدق :

-
- (٢) في اللهجات العربية ط ٣ ص ٨٢ - ٨٤ .
 (٣) انظرها في ص ١٨٣ من كتابه اسرار اللغة ط ٣ .
 (٤) انظر مثلاً ما قاله الدكتور وافي في فقه اللغة ط ٦ ص ٢٠٦-٢٠٩ والدكتور عبد الله السامرائي في فقه اللغة المقارن ص ١٨ - ١٩ والدكتور عبده الراجحي في اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٩٣ والدكتور صبحي الصالح في دراسات في فقه اللغة ص ١٢٦ وما بعدها .

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري

وهم كثير منهم الفرزدق والبيت له • (٥) فهذا سيويه الذي قيل فيه انه امام النحو (٦) في كتابه الذي قيل فيه انه قرآن النحو (٧) وهو أول كتاب وصلنا في بابہ يعرض لذكر كم الخبرية وبيت الفرزدق دون أية اشارة الى اختلاف أو جدل أو نقاش كما زعم الدكتور أنيس ، وكل ما في الامر أن سيويه حكى عن العرب شيئاً سمعه منهم بما عرف عنه من دقة وأمانة رحمه الله • وقد يخطر على البال ان الاستاذ قد وجد الخلاف في غير كتاب سيويه ولعل النحاة بعد امامهم قد اختلفوا وان كان ما ألف بعده عليه عيال كما قيل (٨) فليتنظر في عدد من المطولات كما طلب الاستاذ أنيس وكم كنا نود لو انه نقل لنا نصاً واحداً من تلك المطولات التي تعرضت لهذه المسألة ونقلت جدال النحويين ونقاشهم فيها كما ذكر •

قال الاعلم الشنتمري وهو يتحدث عن بيت الفرزدق : (ويجوز في قوله كم عمة الرفع والنصب والجر ، والرفع على الابتداء وتكون كم لتكثير المرات والتقدير كم مرة حلبت علي عشاري عمة لك وخالة • والنصب على أن تجعل كم استفهاماً ، أو خبراً في لغة من ينصب بها الخبر ، والجر على أن تكون كم خبراً بمنزلة رب •) (٩) والذي يتبادر الى الذهن ان الاستاذ الفاضل لم يفرق بين تعدد الرواية ووجوه الاعراب وبين الخلاف أو الجدل أو النقاش النحوي ، ففي قراءة عاجلة حكم بان النحاة دار بينهم جدل ونقاش حول بيت الفرزدق • وهذه الاوجه التي ذكرها الاعلم في

(٥) الكتاب ١ : ٢٩٣ - ٢٩٤ •

(٦) المزهر للسيوطي ٢ : ٤٢٦ •

(٧) مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي ص ٦٥ •

(٨) انباء الرواة للقفطي ٢ : ٣٥١ •

(٩) تحصيل عين الذهب للاعلام الشنتمري حاشية كتاب سيويه

١ : ٢٩٣ •

اعراب الروايات الثلاث في البيت قد اتفق عليها النحاة ولا أعلم أحداً خالف فيها إلا أن صاحب الانصاف^(١٠) ذكر مسألة من مسائل الخلاف تتعلق بتمييز كم الخبرية إذا فصل بينه وبينها بظرف أو جار ومجرور ، وهذه ولا ريب لا علاقة لها بيت الفرزدق أو بلغة من ينصب بها وإنما هي مسألة ثانية •

أما شرح المفصل فقد تكلم على تمييز كم الخبرية دون إشارة إلى أي خلاف فيها ذاكرة لغة تميم قال : (وأما الخبرية فإنها تبين بالواحد والجمع وتضاف إلى المعدود وذلك نحو كم رجل عندك ! وكم غلمان لك !)^(١١) ثم قال : (وبعض العرب ينصب بكم في الخبر كما ينصب في الاستفهام وهم بنو تميم)^(١٢) وعندما ذكر الزمخشري بيت الفرزدق قال ابن يعيش : (هذا البيت ينشد على ثلاثة أوجه رفع ونصب وجر فالرفع على أنه مبتدأ ... ومن نصب فعلى لغة من يجعل كم في معنى عدد منون ونصب بها في الخبر وهم كثير منهم الفرزدق لأن هذا ليس موضع استفهام مع أنه لا يبعد الاستفهام على سبيل التقرير ... ومن جر فعلى أنه خبر بمعنى رب)^(١٣) ، وفي شرح الكافية قال الرضي الاستربادي : (وبعض العرب ينصب ميم كم الخبرية مفرداً كان أو جمعاً)^(١٤) ، ثم ذكر بيت الفرزدق وأوضح معناه ثم قال : (... وجه النصب في عمّة كون كم خبرية على ما تقدم من جواز نصب تمييزها عند بعضهم أو

(١٠) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ط ٣ ، ١ : ١٧٢

(المسألة ٤١) •

(١١) شرح المفصل لابن يعيش ٤ : ١٢٦ •

(١٢) شرح المفصل ٤ : ١٣٠ •

(١٣) شرح المفصل ٤ : ١٣٤ •

(١٤) شرح الكافية للرضي الاستربادي ط استنبول ٢ : ٩١ •

استفهامية • وإن لم يرد معنى الاستفهام لكن على سبيل التهكم • • ، والعجز على أن كم خبرية ، والرفع على حذف المميز • • فترفع عمة بالابتداء ولك صفتها والخبر قد حلت^(١٥) ، وقال ابن هشام في المغني : (تميز كم الخبرية واجب الخفض وتميز الاستفهامية منصوب • • وزعم قوم ان لغة تميم جواز النصب تميز كم الخبرية اذا كان الخبر مفرداً وروي قول الفرزدق • • • بالخفض على قياس تميز كم الخبرية وبالنصب على اللغة التيممية أو على تقريرها استفهامية استفهام تهكم • • وبالرفع على انه مبتدأ^(١٦) ، اما ابن عقيل فلم يذكر لغة تميم ولا أشار الى بيت الفرزدق وانما قال : (تستعمل كم للتكثير فتميز بجمع مجرور كعشرة أو بمفرد مجرور كمائة)^(١٧) ، وقد أورد الأشموني بيت الفرزدق مجروراً ثم قال : (ويروى هذا البيت بالنصب والرفع أيضاً ، اما النصب فقل ان لغة تميم نصب تميز الخبرية اذا كان مفرداً وقيل على تقديرها استفهامية استفهام تهكم ، واما الرفع فعلى انه مبتدأ)^(١٨) وقال الصبان في حاشيته (قوله اذا كان مفرداً كذا قال الشلوبين والصحيح انه يجوز فيه الافراد والجمع على هذه اللغة كما في الكافية ونص على ذلك السيرافي)^(١٩) ، وفي شرح التصريح على التوضيح قال الازهري : (وتميز الخبرية بمجرور باضافتها اليه)^(٢٠) ، ثم ذكر بيت الفرزدق وقال : (بجر عمة وخالة على ان كم خبرية ، وبنصبهما فقل ان تميماً تجيز نصب مميز الخبرية • •

(١٥) شرح الكافية ٢ : ٩٤ •

(١٦) مغني اللبيب لابن هشام ط الحلبي ١ : ١٥٩ •

(١٧) شرح ابن عقيل ط ١٤ ٢ : ٤٢١ •

(١٨) حاشية الصبان على الأشموني ط الحلبي ٤ : ٨١ •

(١٩) حاشية الصبان ٤ : ٨١ •

(٢٠) التصريح على التوضيح ط الحلبي ٢ : ٢٧٩ •

وقيل على الاستفهام التهكمي (٢١) .

ولعل في كل ما قدمته من كلام العلماء ما يقنع الأستاذ الفاضل بأنه قد ظلم النحاة بعجلته ، ولم يكن على الجادة حين نسب اليهم ما نسب ، ولعلي قد قدمت للدكتور صبحي الصالح ما يقنعه بأنه كان واحماً اذ تابع الدكتور أنيس في هذا وزاد عليه بأن وصف الجدل المتخيل بأنه عقيم حيث قال : (.. وهذا يفسر لنا ما دار من الجدل النحوي العقيم حول بيت الفرزدق وهو كما نعلم تميمي : كم عمة لك يا جرير (٢٢)) .

٢ - (إن) فعل أمر

(والعربية ولهجاتها) مجموعة محاضرات كتبها الدكتور عبدالرحمن أيوب تهدف في مجموعها الى التوجه نحو اللهجات السوقية بالدرس والاستقراء قل : (ونحن نرجو أن تكون محاضراتنا هذه فتحاً لباب كان ينبغي أن يفتح منذ أمد طويل) (٢٣) ، والقارىء يتوقع ابتداء ان يترك المؤلف التعرض للنحو وأهله ما دام هذا موضوعه ولكنه يفاجأ بقوله : (ومقتضى هذا أن يكون جامعو اللغة العربية الاوائل قد ارتكبوا خطأ منهجياً حين كانوا يخرجون المبادية لجمع اللغة فيخلطون بين ما يأخذون عن قبيلة وما يأخذون عن قبيلة اخرى أو يخلطون بين ما يقوله الحضر وما يقوله أهل البادية ثم يستخرجون من هذا الخليط قواعد عامة (٢٤)) ، فقد أخطأ أهل اللغة اذن لانهم أخذوا عن عدة قبائل واستخرجوا القواعد منها ولسنا هنا في معرض مناقشة امثال هذه الآراء ولكننا أتينا بقولته ليرى القارىء رأي المؤلف في جامعي اللغة ثم ليراه وهو يتكلم على قواعد هذه اللغة قال :

(٢١) التصريح ٢ : ٢٨٠ .

(٢٢) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ط ٣ ص ٧٧ .

(٢٣) العربية ولهجاتها للدكتور عبدالرحمن أيوب ط معهد البحوث

ص ٤ .

(٢٤) العربية ولهجاتها ص ٢٣ - ٢٤ .

(توجد إن من المادة المجردة فعل أمر في بيت يساق لغزاً هو « ان هذه المليحة الحسناء » بنصب المليحة والحسناء صفة لهند و هند في هذه الحال مفعول للفعل إن بمعنى انظر) (٢٥) ، وفزعنا الى لسان العرب (٢٦) لنرى متى تكون إن بمعنى انظر فلم نحظ بشيء من ذلك ، وعدنا الى كتب النحو فوجدنا ان الاستاذ قد اخطأ في زعمه هذا ، جره الى ذلك العجالة والاعتماد على السماع دون التدقيق فالييت ليس بنصب هند ولا المليحة بل هو بضم الدال من هند والتاء من المليحة وبنصب الحسناء وبذا يكون لغزاً ، والبيت بتمامه :

إن هند المليحة الحسناء وأي من اضمرت لخل وفاء
وهي في هذا فعل امر من الفعل وأي بمعنى وعد (٢٧) . وهذا ابن هشام في المغني يفصل الامر تفصيلاً لا يدع زيادة لمستزيد قال : (... وعلى ذلك يتخرج اللغز المشهور وهو قوله :

ان هند المليحة الحسناء وأي من اضمرت لخل وفاء
فانه يقال كيف رفع اسم إن وصفته الاولى والجواب ان الهمزة فعل امر والتون للتوكيد والاصل إينَ بهمزة مكسورة وياء ساكنة للمخاطبة ونون مشددة للتوكيد ، ثم حذفت الياء لالتقاء ساكنة مع النون المدغمة كما في قوله :

لتقرعن علي السن من ندم اذا تذكرت يوماً بعض اخلاقي
وهند منادى مثل « يوسف اعرض عن هذا » (٢٨) والمليحة نعت له

-
- (٢٥) العربية ولهجاتها ص ٨٦ هامش ١ .
 - (٢٦) اللسان مادة انن .
 - (٢٧) اللسان مادة وأي .
 - (٢٨) يوسف : ٢٩ .

على اللفظ كقوله :

يا حكم' الوارث' عن عبد الملك

والحسناء اما نعت لها على الموضع كقول ماذح عمر بن عبدالعزيز
رضي الله تعالى عنه :

يعود الفضل منك على قریش وتفرج عنهم الكرب الشدادا
فما كعب بن مامة وابن سعدی باجود منك يا عمر الجوادا
واما بتقدير أمدح ، واما نعت لمفعول به محذوف أي عدي ياهند
الخلعة الحسناء ، وعلى الوجهين الاولين فيكون انما امرها بايقاع الوعد
الوفي من غير أن يعين لها الموعد ، وقوله : وأي مصدر نوعي منصوب بفعل
الامر والاصل وأياً مثل وأي من ، ومثله « فأخذناهم أخذ عزيز
مقتدر » (٢٩) وقوله اضمريت بقاء التأنيث محمول على معنى من ، مثل من
كانت امك (٣٠) . وما نقلناه من المغني مغن عن التعليق الا انني أعيد هنا
ما ذكرته آنفا من انه خلق بالعالم ان يتثبت قبل أن يصدر حكما وأن
يستجمع آلة علمه قبل أن يخوض فيه .

٣ - سقطات نحوية وتصريفية :

أ - تمييز العدد من موضوعات النحو التي تعنى بها المدارس
والجامعات وتدرسها لطلبتها فيخرج الطلبة وقد اتقنوا استعماله وتمكنوا
منه ، ولقد استوقفنا تمييز العدد في كتب الدكتور ابراهيم أنيس فجعلنا في
حيرة من تفسيره ، قال في كتابه في اللهجات العربية : (فقد عثر بروفسير
« ليتمان » وحده على نحو ١٤٠٠ نقشاً حاول فك رموزها وتفسير

(٢٩) القمر : ٤٢

(٣٠) المغني ١ : ١٧ - ١٨ .

كلماتها .. (٣١) ، ولا ندري كيف قرأ الأستاذ الفاضل الرقم فنصب
 تمييزه اللهم الا اذا كانت النقوش اربعة عشر فيصح عندئذ قوله نقشاً ، اما
 اذا كانت اربعمائة والـ فالتمييز مفرد مجرور لا غير كيف قرأت العدد
 فنقول اربعمائة والـ نقش أو الف واربعمائة نقش لان تمييز مائة والـ
 مفرد مجرور كما هو معلوم وفي مكان آخر من الكتاب قال : (والصيغة
 الاولى هي أكثر شيوعاً في الاسلوب القرآني ، لان به حوالي ١٠٧ فعلاً
 ماضياً صحيحاً صيغته (فعل) ، وحوالي ٢٤ من صيغة (فعل) (٣٢) ،
 والصواب كما هو معلوم ان يقال : لانه به حوالي سبعة ومائة فعل ماضٍ
 صحيح ، أو لان به حوالي مائة وسبعة أفعال ماضية صحيحة اذ تمييز
 الثلاثة الى العشرة جمع مجرور • مخرج واحد يمكن أن نلتزمه للدكتور
 أنيس في هذا ليجعل من خطئه قاعدة وليس خطأ ذلك أن يثور على النحاة
 كعادته وأن يتهمهم بتلفيق تمييز العدد وان يدعوا للتيسير بأن يكون تمييز
 العدد مفرداً منصوباً كيف وقع ! •

ب - قال الدكتور ابراهيم أنيس في اللهجات : (روي ان بعضاً من
 ربيعة كانوا يسقطون نون (المذنين) و (اللتين) وعليه قول الفرزدق :

ابني كليب ان عمي اللذا قتل الملوك وفككا الاغلال

••• ثم قال : أليس من الممكن أن يكون بيت الفرزدق كما يلي :

ابني كليب ان عمي اللذين قتل الملوك وفككا الاغلالا

أي ان يروى الشطر الاول منتهاً بما يشبه نون الترسم ، ولا
 أظن ان الاذن الموسيقية تلحظ حينئذ انحرافاً في وزن البيت (٣٣) •

(٣١) اللهجات ص ٣٤ •

(٣٢) اللهجات ص ١٦٩ •

(٣٣) اللهجات ص ١٣٥ •

والذي يلفت النظر ان الاسم الموصول مرفوع في بيت الفرزدق (اللذا) ولكنه بالياء في البيت المقترح (اللذين) ولا ندري أجعله الاستاذ في موضوع نصب أم جر ! • اما الرفع فاعرابه واضح قال الازهري : (أراد اللذان فحذف النون ، وهو مرفوع على الخبرية لان^(٣٤) • واما النصب أو الجر فعلمها عند الاستاذ المقترح • وقوله (أليس من الممكن •• الخ) غير وارد لان الامر يتعلق بالرواية لا بالامكان وعدمه وقد روى العلماء البيت (اللذا)^(٣٥) فلا وجه للاقتراح مع الرواية • وقوله (منتهياً بما يشبه نون الترتم) غريب اذ لا يعلم أراد نون الترتم أم غيرها فان كانت غيرها فما هي وان كان يرى انها نون ترتم فليس بصواب لان نون الترتم تلحق القوافي المطلقة بحرف علة^(٣٦) • وقوله : (ولا اظن ان الاذن الموسيقية •• الخ) يستدعي النظر حقاً فموسيقى الشعر انما تحكمها أوزانه وبها يقاس ما وافق الاذن الموسيقية مما خالفها وليس من قياس آخر على ما نعلم والبيت من الكامل تقطيعه كما يلي :

ابني تمي/ من ان- عم/مي- اللذا متفاعلن متفاعلن متفاعلن فآين
تزداد النون وليس الموطن موطن ترفيل أو تذييل •

ج - قال الدكتور عبدالرحمن ايوب في (العربية ولهجاتها) :
(ومثل ذو الطائية التي تستعمل اسم موصول)^(٣٧) • وقال في مكان آخر : (ذو في لهجة طيء تستعمل اسم موصول)^(٣٨) ، والصواب أن

-
- (٣٤) التصريح ١ : ١٣٢ •
(٣٥) انظر مثلاً شرح المفصل ٣ : ١٥٥ وشرح الكافية ٢ : ٣٨
والتصريح ١ : ٣٢ والصبيان ١ : ١٣٧ •
(٣٦) ابن عقيل ١ : ١٨ •
(٣٧) العربية ولهجاتها ص ٣٤ •
(٣٨) العربية ولهجاتها ص ٦٩ •

يقال : (تستعمل اسماً موصولاً) في الموضعين لان كلمة (اسم) ليست نائب فاعل في الموضعين كما نظن انه تبادر الى ذهن الاستاذ وانما نائب الفاعل ضمير مستتر يعود على ذو الطائفة وهذا من الوضوح بمكان .

د - قال الدكتور ايوب في الكتاب نفسه : (ف(إنّ) المكسورة تشبه في وزنها فعل الامر من مادة الثلاثي المضعف مثل (ش دد) ويصاغ على وزن افعال ويصير بعد الحذف المعروف في باب الصرف الى (شُدّ) (الامر من شُدّ) ومثل (هد) الامر من (هد) و (عدّ) الامر من (عدّ) وكلها تشبه في الوزن إنّ) (٣٩) . ونقول هذا غريب حقاً ف (إنّ) حرف مشبه بالفعل وقد نص العلماء على أن الحروف لا يتناولها التصريف لبعدها معرفة اشتقاقها (٤٠) فلا يصح المجيء بميزان لها ، ولو تابعنا الاستاذ على خطئه ووزناها كما وزنها فانها تكون بكسر الفاء ، اما ما استشهد به من الافعال في صيغة الامر فكلها تكون بضم الفاء لانها جميعاً من باب نصر فكلها اذن لا تشبه في الوزن إنّ .

(٤٠) انظر المنصف لابن جني ١ : ٧ - ٨ وشرح الشافية للرضي
الاستربادي ١ : ٨ ووضح المسالك لابن هشام ٣ : ٣٠٣ .